الفصل الأول

مصر والرومان

عرفنا في الباب السابق أن مصر تحولت إلى ولاية رومانية في عام 30ق.م. بعد دخول أوكتافيوس الإسكندرية وانتحار كليو باترا السابعة أخر ملوك البطالمة في مصر.

ونظرا لأهمية مصر الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية بالنسبة للرومان، فقد جعلها أوكتافيوس تحت حكمه المباشر.

كانت مصر هي حقل ومستودع القمح لروما، ويمكننا أن نقول أن فترة حكم الرومان لمصر كانت فترة استغلال اقتصادي في المقام الأول، حيث أعتبر الرومان أن مصر عبارة عن حقلٍ كبيرٍ لزراعة القمح لاطعام الشعب الروماني.

كل هذا جعل الرومان يضعوا لمصر نظامًا عسكريًا واداريا محكمًا يختلف عن سائر الولايات الآخرى.

وقد عبر المؤرّخ الروماني الشهير (تاكيتوس) عن ذلك بقوله:

"تولى مصر منذ أيام أغسطس المؤله فرسان رومان في منزلة الملوك"

فمن المعروف أن حكم الولايات الرومانية تولاه مندوبين أو نواب عن أغسطس، وكان يختار أغسطس مندوبين للولايات الرومانية المهمة حيث يتواجد فيها حاميات من الفرق الرومانية من بين أعضاء مجلس الشيوخ الذين سبق لهم تولي القنصلية دون الالتزام بسنوات معينة بعد اعتزالهم العمل في روما، وقد سماهم جميعًا بلقب واحد هو (نائب أغسطس البروبريتور– legatus augusti proprietor) ، أما مصر فقد اختار لها حاكمًا مختلفًا من بين طبقة الفرسان وحمل لقبًا مختلفًا وهو لقب (برايفكتوس – praefectus).[1]

لم يختلف وضع مصر كثيرًا في عهد خلفاء أغسطس (أوكتافيوس)، ولعل كان أشهرهم (فسباسيانوس – سبتميوس – سيفيروس – كاراكلا – كاليجولا – كلوديوس – نيرون).

إلَّا أن الإمبراطورية الرومانية، مثلها كغيرها من الدول والإمبراطوريات، قد مرت بحالة من الضعف وشبه الانهيار في

1– (1) د.محمد فهمي عبد الباقي – محاضرات في تاريخ الرومان – ص125

أواخر القرن الثاني الميلادي حتى مجئ الإمبراطور (دقلديانوس) ووصوله إلى الحكم في عام 284م، والذي عمل على برنامج اصلاحي لشتى المجالات في الإمبراطورية الرومانية كلها بما في ذلك الولايات التابعة لها وأهمها مصر.

ولكن كانت مصر حالة خاصة بالنسبة لدقلديانوس في هذا الوقت، حيث انتشرت المسيحية بين عدد كبير من المصريين وهو ما لم يكن في صالح الإمبراطورية الرومانية الوثنية وأباطرتها.

ومن المعروف أن المسيحية دخلت مصر حوالي منتصف القرن الأول الميلادي على يد القديس مرقس الرسول أحد أبرز رسل السيد المسيح السبعين والذي كان له دورًا كبيرًا في التبشير بالمسيحية في مصر وشرع في تأسيس أول كنيسة في مصر (الكنيسة المرقسية بالإسكندرية)، كما أسس أيضًا المدرسة اللاهوتية المسيحية في الإسكندرية.

على أي حال انتشرت المسيحية في كل أنحاء القطر المصري في القرن الثاني الميلادي، وهناك العديد من الأدلة على ذلك لعل أهمها، اكتشاف أربع برديات حفظت لنا نَصَّان من انجيل يوحنا، وترجع كتابتها إلى النصف الأول من القرن الثاني الميلادي، كما عثر أيضًا على نسخ من العهد القديم مكتوبة باليونانية، وكذلك

ما جاء في بردية اهناسيا من أقوال السيد المسيح " ارفع قطعة الخشب فسوف تجدني،اقلب الحجر تجدني "، وهذه دلائل على انتشار المسيحية في مصر.[1]

كلما انتشرت المسيحية، كلما زاد اضطهاد الرومان للشعب المصري المسيحي، فيمكن الجزم بوجود علاقة طردية بين انتشار المسيحية في مصر واضطهاد الرومان للمصريين.

وهذا ما دفع الشعب المصري إلى فكرة الهروب من الاضطهاد الروماني إلى الرهبنة والديرية في الصحاري المصرية الواسعة حفاظًا على دينهم وحياتهم.

ومن شدة بطش دقلديانوس بالمسيحيين اتخذت الكنيسة القبطية من عام 284م بداية للتقويم القبطي، وهو عام تولي دقلديانوس مقاليد الحكم في الإمبراطورية الرومانية.

ظل هذا الاضطهاد في أبشع صورة له، حتى وصل الإمبراطور قسطنطين العظيم إلى حكم الإمبراطورية الرومانية، ومعه حدث تحول خطير أدى إلى تغير ملامح الإمبراطورية الرومانية كلها وولايتها وأهمها مصر.

1– (1) تاريخ مصر في العصر البيزنطي – د. ليلى عبد الجواد –ص25

فقد شهد عصر قسطنطين (306-337م) حدثين مهمين أولهما:

1. الاعـتراف بـالمسيحية دينـا مصرحـا بـه في الإمبراطورية الرومـانية، فيمـا عرف ب (هبـة قسطنطين) عـام 313م، وعرف أيضًـا بـاسم (مرسوم ميلان).
2. نقل عـاصمة الإمبراطورية من رومـا إلى القسطنطينية على ضفـاف مضيق البسفور.

فقد استقر قسطنطين على إقـامة عـاصمة جديدة على أنقـاض مدينة بيزنطة القديمة، والتي عرفت بـاسم الإمبراطورية البيزنطية، وتحولت الولايـات التـابعة لهـا إلى ولايـات بيزنطية، ليبدأ بذلك تـاريخ مصر في العصر البيزنطي.